سُورَةُ طه

التَّعريفُ العامُّ بالسّورة:

الأصحُّ أنَّ سورةَ طه كلَّها مكّيَّةٌ

سورةُ طهَ منَ السّوَرِ المكّيَّةِ عند جمهور العلماء[1].

وهي السّورةُ العشرون في ترتيب المصحف الشَّريفِ، وهو التَّرتيبُ الثَّابتُ، والمُعوَّلُ عليه عند أهل النَّظر والتَّحقيقِ، جاءت بين سورتيْ مريمَ والأنبياءِ، وعددُ آياتها مئة وثلاثون وآيتان عند البصريّين، وأربعٌ وثلاثون عند المكّيّين والمدنيّين، وخمسٌ وثلاثون عند الكوفيّين، وأربعون عند الشاميّين[2].

وأمَّا ترتيبها النُّزوليُّ؛ فهي الخامِسَةُ والأَرْبَعونَ في تَرْتيبِ النُّزولِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سورَةِ مَرْيَمَ وقَبْلَ سورَةِ الواقِعَةِ[3]، والحقُّ أنَّ التَّرتيبَ النُّزوليَّ ليس قطعيًّا في ثبوته لافتقادِه إلى صحَّة الرِّوايات، ومؤازرةِ السّياق.

من فضائل السورة:

في صحيح البخاريِّ عن عبد الله بن مسعود أنَّه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: "إنَّهنَّ من العتاق الأوَل، وهنَّ من تلادي"[4].

---

(1) مقاتل، تفسير مقاتل: 3/ 25، وابن الجوزي، زاد المسير: 4/ 452، وأبو حيان، البحر المحيط: 7/ 532، وذكر بعض المفسّرين استثناء آياتٍ منها، يُنظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: 1/ 50، ودروزة، التفسير الحديث: 3/ 186، ومثله في: ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 180.

(2) الداني، البيان في عد آي القرآن، ص: 183.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 180.

(4) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب تأليف القرآن، حديث رقم: (4708)، والعِتاق: جمع عتيق وهو القديم، وكذلك التالد بمعنى القديم، والمراد أنهن نزلن في أول ما نزل من القرآن وهو صغير، يُنظر: مكي، الهداية: 4/ 352.

❁ أسماءُ السّورة الكريمة وسببُ التّسميَةِ:

اسم هذه السورة هو (طه)، سُمّيت به في جميع المصاحفِ، وكُتُب التّفسير والسُّنَّة، وهو اسمُها الثابتُ رِوايةً وشُهرةً[1].

وذكر السّيوطيُّ أنَّ بعضَهم قال: كادَ القُرْآنُ أَنْ يَكونَ كلُّه موسى، وكانَ أَوْلَى سورَةٍ أَنْ تُسَمَّى به سورَةُ طه أوِ القَصَصِ أَوِ الأَعْرافِ؛ لِبَسْطِ قِصَّتِه في الثَّلاثَةِ ما لَم يُبْسَطْ في غَيْرِها ... فانْظُرْ في حِكْمَةِ ذَلِكَ، وسَمَّاها الهُذَليُّ في كامِلِه سورَةَ موسَى[2].

وذكر السّخاويُّ أَنَّ سورَةَ طهَ تُسَمَّى سورَةَ الكليمِ[3].

وأمَّا عنِ اعتلاق هذا الاسمِ المشتهرِ لها بمحور السّورة المرتبطِ ببيان منهجِ القرآن في تحقيق السَّعادة للبشريَّة إن هي اتَّبعت الحقَّ، وعمَّا ينتظرُها منَ الشَّقاء إن هي تنكَّبت الجادَّةَ، فإنَّ تسميتَها بهذَيْن الحرفَيْن المُقَطَّعيْن الدَّالَّيْن على إعجازِ القرآن الكريم، لهو إشارةٌ إلى أنَّ هذا القرآن هو المنهجُ الذي تتحقَّق به سعادةُ البشريَّة، فهو وحدَه السَّببُ في السِّعادة ومخالفتُه هي السَّببُ في الشَّقاء، وهذا ما أكَّدته آياتُ السّورة منذ بدايتها: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦﴾ [طه: 124 - 126].

يقول البقاعيُّ في محاولة ربطِ موضوع السّورةِ بحروفها التي بدأت بها: "لمَّا كان ختامُ سورة مريمَ حاملًا على الخوف من أن تهلك أمَّتُه ﷺ قبل ظهور أمرِه الذي أمرَ اللّه به اشتهارَ دعوته، لقلَّة من آمن به منهم؛ ابتدأه سبحانه بالطَّاء إشارةً بمخرجِها الذي هو من رأس اللِّسان وأصولِ الثّنيَّتين العُلويَّتين إلى قوَّة أمرِه وانتشارِه، وعلوِّه وكثرةِ أتباعه؛ لأنَّ هذا المخرجَ أكثرُ المخارج حروفًا، وأشدُّها حركةً وأوسعُها انتشارًا، وبما فيها من صفات الجهرِ والإطباقِ والاستعلاءِ والقلقلةِ إلى انقلابِ ما هو فيه منَ الإسرار جهرًا، وما هو فيه منَ الرِّقَّة فخامةً؛ لأنَّها من حروف التَّفخيمِ، وأنَّه يَستعلي أمرُه، وينتشرُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 179.
(2) السّيوطي، الإتقان في علوم القرآن: 1/ 199.
(3) السّخَّاوي، جمال القرَّاء: 1/ 199.

ذكرُه، حتى يُطبّقَ جميعَ الوجود، ويُقلقلَ سائرَ الأمم، بما تشيرُ إليه الهاءُ بمخرجها من أقصى الحلْقِ، على حدٍّ بُعدِه من طرف اللِّسانِ مع طولٍ كبيرٍ وتمادٍ كثيرٍ، وبما فيها من صفات الهمسِ والرّخاوةِ والانفتاحِ والاستفالِ والخفاءِ مع مخافةٍ وضعفٍ كبيرٍ، وهدوءٍ وخفاءٍ عظيم، ومقاساةِ شدائدَ كبارٍ، مع نوعِ فخامةٍ واشتهارٍ، وهو وإن كان اشتهارًا يسيرًا يغلبُ هذا الضّعفَ كلَّه، وإن كان قويًّا شديدًا"[1].

❁ الموضوعاتُ الرّئيسةُ للسّورة:

مَـدارُ الـسّـورةِ حـــولَ قـصّـتـيْ موسى وآدم عليهما السلام بما ينسجمُ مع المـقـصـودِ الـذي سيقتا لأجلِه

أوّلًا: التّحدّي بالقرآنِ بذكر الحروفِ المقطّعةِ في مُفتتحِها.

ثانيًا: التّنويهُ بأنّه تنزيلٌ منَ الله لهدْيِ القابلين للهدايةِ، فأكثرُها في هذا الشّأنِ.

ثالثًا: التّنويهُ بعظمة الله تعالى، وإثباتِ رسالةِ محمّد ﷺ بأنّها تماثلُ رسالةَ أعظمِ رسولٍ قبْله شاع ذكرُه في النّاس، فضُرب المثلُ لنزول القرآنِ على محمّد ﷺ بكلام الله موسى عليه السلام.

رابعًا: بسطُ نشأةِ موسى وتأييدِ الله إيّاه، ونصرِه على فرعونَ بالحجّةِ والمعجزاتِ وبصرفِ كيدِ فرعونَ عنه وعن أتباعِه.

خامسًا: ذكرُ إنجاءِ الله موسى وقومَه، وغرقِ فرعون، وما أكرمَ الله به بني إسرائيلَ في خروجهم من بلد القِبط.

سادسًا: ذكرُ قصّةِ السّامريّ وصُنعِه العجْلَ الّذي عبده بنو إسرائيلَ في مغيبِ موسى عليه السلام.

وكلُّ ذلك تعريضٌ بأنّ مآل بعثةِ محمّد ﷺ صائرٌ إلى ما صارت إليه بعثةُ موسى عليه السلام منَ النّصر على مُعانديه، فلذلك انتقلَ من ذلك إلى وعيدِ من أعرضوا عنِ القرآن، ولم تنفعْهم أمثالُه ومواعظُه.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 256.

سابعًا: تذكيرُ النَّاس بعداوةِ الشّيطان للإنسان بما تضمّنتْه قصّةُ خلقِ آدم.

ثامنًا: رُتّبَ على ذلك سوءُ الجزاء في الآخرة لمن جعلوا مقادتَهم بيد الشّيطانِ وإنذارُهم بسوء العقابِ في الدّنيا.

تاسعًا: ذكرُ تسليةِ النّبيّ ﷺ على ما يقولونَه وتثبيتِه على الدّين.

وتخلّل ذلك إثباتُ البعث، وتهويلُ يوم القيامة وما يتقدّمُه منَ الحوادثِ والأهوالِ[1].

❁ بيانُ محورِها العامِّ والموضوعاتِ التي تأتلفُ منها وتلتفُّ حوله:

السّـــورةُ في معـانـيـهـا ومبانيها تتّجهُ إلى إسـعـادِ الإنسان

تُغطّي السّورةُ ملمحًا محوريًّا، وهو بيانُ وظيفةِ النَّبيِّ ﷺ وحدود تكاليفِه في تبليغ منهجِ الله، وبيانُ سموِّ منزلةِ القرآن الكريم، وأنَّه ليس شقوةً كُتبت عليه، وليس عناءً يُعذَّبُ به، إنَّما هي الدَّعوةُ والتَّذكرةُ، وهي التّبشيرُ والإنذارُ، وأَمرُ الخلقِ بعد ذلك إلى الله الواحد الذي لا إله غيرُه، المهيمنُ على ظاهر الكونِ وباطنِه، الخبيرُ بظواهر القلوبِ وخوافيها، الذي تَعنو له الجباهُ، ويرجعُ إليه النَّاسُ، طائعُهم وعاصيهم[2].

ويمكنُ جمعُ ذلك في عنوانٍ جامعٍ، وهو الاتِّجاهُ إلى إسعاد الإنسانِ، وجعلِه يتذوّقُ طعمَ اللَّذة والسّعادةِ حتى في تلاوتِها، فلا تفارقُه لذَّةُ تلاوتِها منذ أن تُطالعَه آياتُها الأولى[3].

وخلاصةُ ما سبق تبيَّن أنَّ المحورَ الرّئيسَ هو تقريرُ أنَّ اتِّباعَ منهج الله تعالى يحقِّقُ السَّعادةَ في الدَّارين، وأنَّ اتِّباعَ منهج الباطلِ يجلبُ الشَّقاءَ في الدُّنيا والآخرة، فكلُّ مقاطعِ السّورة ذاتُ اعتلاقٍ بالمحور الرّئيسِ، وذلك بعلاقة المنهجِ المتّبعِ الموصلِ إلى السّعادة أوِ الشقاءِ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 181 - 16/ 182.
(2) شحاته، أهداف كلّ سورة ومقاصدها، ص: 225.
(3) طهماز، محمد عبد الحميد، سبيل السّعادة في سورة طه، ص: 8.

ابتُدِئَتِ السّورةُ بقوله تعالى: ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه: 2]، فالله ﷻ يُطمئن رسولَه وأمَّتَه من بعده أنَّ هذا المنهجَ لم يأتِ حتى يشقى النَّاسُ به، إنَّما هو منهجٌ يضمنُ السّعادةَ لمن تبعَه وطبَّقه، وإنَّما هو سببُ السّعادة في الدّنيا والآخرة، ونجدُ هذا بارزًا في القصَّتيْن اللَّتيْن ذكرتْهما السّورةُ الكريمةُ.

ففي قصَّة موسى ﷺ والتي أخذت أكثر من ثلثَي السّورة بيَّنت ما جرى مع قوم موسى عندما تنكَّبوا هذا المنهجَ والعهدَ الذي أُخِذ عليهم، فعبدوا العجلَ الذي صنعه السَّامريُّ لهم، فلحقَهم الشِّقاءُ والتّيه، وكذلك نجدُ في القصَّة الثَّانية التي ذكرتها السّورةُ الكريمةُ لأبينا آدم ﷺ وما جرى معه في الجنَّة حيث خاطبه ربُّه: ﴿فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ۝١١٧﴾ [طه: 117]، وهو ما أوصى به ذرّيَّته من بعده: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ۝١٢٤﴾ [طه: 123 - 124]، واشتركت القصَّتان في ذكر النّسيانِ سببًا للعصيان، فقالت عنِ السَّامريِّ: ﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ۝٨٨﴾ [طه: 88]، وذكرتِ السّورةُ عن آدمَ ﷺ: ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ۝١١٥﴾ [طه: 115]، وإن كان بين النِّسيانَيْن بونٌ عظيمٌ.

وذكرتِ السّورةُ أنموذجَيْن لأشقى الأشقياءِ منَ الإنس والجنّ، فكان فرعونُ منَ الإنس، وكان إبليسُ منَ الجنِّ، وكان الجامعُ بينهما الإعراضَ عن منهج الله، ممَّا أوقعَهم في الشَّقاء، قال تعالى في حق فرعون: ﴿وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ۝٥٦﴾ [طه: 56]، وقال تعالى في حق إبليس: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ۝١١٦﴾ [طه: 116].

وذكرتِ السّورةُ عقوبةَ المُعرضين عن ذكر الله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦﴾ [طه: 124 - 126].

❁ بيانُ المناسبةِ بين السّورةِ وسابقتِها ولاحقتِها:

أَوَّلًا: إنَّه لمَّا ذكر في سورة مريمَ قصصَ عددٍ منَ الأنبياء والمرسلين، بعضَها بطريق البسط والإطناب كقصص زكريا ويحيى وعيسى ﷺ، وبعضَها بين البسطِ والإيجاز

السّورةُ متّصلةٌ تمامًا بسورتَيْ مريمَ والأنبياءِ مضمونًا وأسلوبًا

كقصّة إبراهيمَ ﷺ، وبعضَها موجزٌ مجملٌ كقصَّة موسى ﷺ، ثم أشار إلى بقيَّة النَّبيّين بالإجمال - ذكر هنا قصَّةَ موسى التي أُجملت فيما سلف، واستوعبَها غايةَ الاستيعاب، ثمَّ فصَّل قصَّةَ آدمَ ﷺ، ولم يذكرْ في سورة مريمَ إلَّا اسمَه فحسب.

ثانيًا: إنَّه روى عنِ ابن عبَّاسٍ ﷺ أنَّ هذه السّورةَ نزلت بعد سالفتِها، فهي متمِّمةٌ لِما ورد فيها.

ثالثًا: إنَّ أوَّل هذه السّورةِ متَّصلٌ بآخر السّورةِ السَّابقةِ ومناسبٌ له في المعنى؛ إذ ذكر في آخر تلك أنَّه إنَّما يسَّر القرآنَ بلسانه العربيّ المبين، ليكونَ تبشيرًا للمتَّقين وإنذارًا للمعاندين، وفي أوائل هذه ما يؤكِّدُ هذا المعنى[1].

والحقُّ أنَّ السّورتَيْن مكّيَّتان، وقد فصَّلت سورةُ طه ما أجملتْه سورةُ مريمَ منَ الإشارة إلى قصَّةِ موسى ﷺ، وفصَّلت هنا المرحلةَ الأولى من حياته حتّى خرج من مصرَ، ثمَّ بيَّنت حرصَ موسى ﷺ على نقل هذا الإرثِ العقديِّ في عائلته: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ٣٥﴾ [طه: 25 - 35]، وبيَّنت سورةُ طه الشّقاءَ الذي يلحقُ من يتنكَّبُ هذا الإرثَ العقديَّ بقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ١٢٧﴾ [طه: 124 - 127].

(1) المراغي، تفسير المراغي: 16/ 93.

وأمَّا وجهُ اتِّصالها بسورة الأنبياء؛ فيقولُ البقاعيُّ: لمَّا خُتِمت طهَ بإنذارِهم بأنَّهم سيعلَمون الشقيَّ والسَّعيدَ، وكان هذا العلمُ تارةً يكونُ في الدُّنيا بكشف الحجابِ بالإيمان، وتارة بمعاينةِ ظهور الدّين، وتارةً بإحلال العذابِ بإزهاق الرّوحِ بقتلٍ أو غيرِه، وتارةً ببعثِها يوم الدّين؛ افتُتِحت هذه بأجلى ذلك، وهو اليومُ الذي يتمُّ فيه كشفُ الغطاء، فينتقلُ فيه الخبرُ من علم اليقينِ إلى عين اليقين، وحقُّ اليقين هو يومُ الحساب، فقال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ﴾ [الأنبياء: 1]، أي: عامّةً، أنتم وغيرُكم، ﴿حِسَابُهُمۡ﴾ [الأنبياء: 1]، أي: في يوم القيامة[1].

وأضاف المراغيُّ: "إنَّ سورة طهَ خُتِمت بأنَّ النَّاسَ قد شغلتهم زهرةُ الدُّنيا التي جعلها اللّه لهم فتنةً، وأنَّ اللّه نهى رسولَه أن يتطلَّعَ إليها، وأمرَه بالصَّلاة والصَّبر عليها، وأنَّ العاقبةَ للمتَّقين - وبُدِئَت سورةُ الأنبياء بمثل ما خُتِمت به سورةُ طه، فذكر فيها أنَّ النَّاسَ غافلون عنِ السَّاعة والحساب، وأنَّهم إذا سمعوا القرآنَ؛ استمعوه، وهم لاعبون، وقلوبُهم لاهيةٌ عنه"[2].

❁ الخصائصُ الموضوعيَّةُ والأسلوبيَّةُ لسورة طهَ

الخصائصُ الموضوعيَّةُ:

أوَّلًا: تميّزتِ السّورة الكريمةُ باشتمالِها على القصص في معظم آياتِها؛ إذ شغلتِ القصَّتان منها نحو مائة وثلاث آيات من أصل مائة وخمس وثلاثين آية في العدِّ الكوفيِّ، فقد ذُكرت قصَّةُ موسى في نحو إحدى وتسعين آية، وذُكِرَ اسمُ موسى عليه السلام سبع عشرة مرّةً في السّورة[3]، من أصل مائة وستّ وثلاثين مرّةً[4]، وهو في هذه السّورة في التَّرتيب الثَّاني في العدد بعد سورةِ الأعراف، والتي ذكر فيها العدد واحدٌ وعشرون مرَّة، ثمّ البقرة ثلاث عشرة مرَّة، وهذا الذِّكرُ من دلالته العنايةُ والاهتمامُ بقصَّة أكثرِ الأنبياء معاناةً وصبرًا على المحن والمصائبِ أثناء اتِّباعِه لمنهج اللّه، فظُنَّ أنَّ الشَّقاء كان في المنهج واتّباعِه، لكنَّ موسى عليه اللام كان في سعادةٍ منَ اللّه وأُنسٍ ورضًى باتّباعِ منهجِ اللّه تعالى.

وقد تناولت السّورةُ قصَّةَ موسى عليه السلام في أثناء عودتِه إلى مصر بعد غيابه عنها نحوَ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 378 - 379.

(2) المراغي، تفسير المراغي: 17/ 3.

(3) في الآيات: 9، 11، 17، 19، 26، 40، 49، 57، 61، 65، 67، 70، 77، 83، 86، 88، 91.

(4) محمد زكي محمد، معجم كلمات القرآن الكريم، ص: 35.

عشرِ سنين، ثمَّ اصطفاءَه بالنُّبوَّة وبتكليم الله له، ثمَّ استعرضت جلَّ الأحداث التي جرت معه في مصرَ مع فرعونَ والسَّحرةِ، ثمَّ خروجَه منها بعد فلقِ البحر له ولقومِه، ثمَّ عرضت السّورة باقتضابٍ لِما جرى بينه وبين قومه في التّيه، فكانت المشاهدُ المعروضةُ منَ القصَّة في هذه السّورة متناغمةً مع مقصودِها ومحورِها الذي قامت عليه.

ثانيًا: احتلَّت قصَّةُ آدمَ ﷺ نحو اثنتي عشرة آية، وانفرد هذا الجانبُ من قصَّة آدمَ ﷺ بذكر قضايا لم تردْ في غيرها منَ السّوَر، مثل أنَّ الله تعالى أخبره أنَّه لن يجوعَ في الجنَّة، ولا يشقَى، وبيَّنت أنَّ سببَ أكلِه منَ الشَّجرة هو النِّسيانُ دونَ العزمِ على المعصية، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه: 115]، والعجيبُ أنَّ لفظةَ النِّسيان قد تكرَّر ذكرُها في السّورة أربعَ مرَّات، فقد جاءت على لسان موسى ﷺ، وهو ينفي النّسيانَ عن ربِّه بقوله: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه: 52]، وجاءت في معرض الحديثِ عن صنيع السَّامريِّ مع قومه: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾﴾ [طه: 88]، وجاءت أخيرًا في الحديثِ عن جزاء المُعرضِ عن ذكر الله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: 126].

ثالثًا: تفرَّدتِ السّورةُ الكريمةُ كذلك بذكر اسمِ السَّامريّ وقصَّته وحوارِه، وهذا لم يرد في أيِّ سورة أخرى، حيث ورد ذكرُهُ ثلاث مرَّات[1]، لكنَّ غيرَها منَ السّور ذكرت اتّخاذَ عبادة العجلِ دون تفاصيل صُنعِه، كقوله تعالى: ﴿۞وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [البقرة: 92]، وفي تفرُّد ذكرِ السَّامريِّ وقصَّته وحوارِه مع موسى ﷺ ارتباطٌ وثيقٌ مع محورِ السّورة المُرتكزِ على بيانِ أنَّ الكفرَ بالله يترتَّبُ عليه الشَّقاءُ الدُّنيويُّ والأخرويُّ، حيث تُعدُّ قصَّةُ موسى مع بني إسرائيل في التّيه أنموذجًا لأولئك الذين تنكَّبوا طريقَ السَّعادة، وجلبوا الشَّقاوةَ لهم بكُفرهم وعنادِهم، فالسَّامريُّ وبنو إسرائيلَ الذين عبدوا العجْلَ صنعوا إلهًا لهم بأيديهم ظانّين أنَّ السّعادةَ تتحقَّقُ لهم بتلك الصّنيعةِ، فجلبَ صنيعُهم الشَّقاءَ عليهم في الدّنيا والآخرة.

(1) الآيات: 85، 87، 95.

رابعًا: تميَّزتِ السّورةُ بحديثِها المتنوِّعِ عن يوم القيامةِ من زوايا مختلفةٍ، وذلك على اعتبار أنَّها دارُ سعادةٍ أو شقاءٍ، فقال: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [طه: 15]، وقال عن البعث: ﴿۞مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: 55]، وقال في حقِّ المُعرض عنِ الذِّكر: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾ [طه: 100 - 101]، وقال: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾﴾ [طه: 102 - 103]، وقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: 124].

الخصائصُ الأسلوبيَّةُ:

أولًا: تفرَّدتِ السّورةُ الكريمةُ في أسلوبها بذكر مادَّة (علا) ومشتقَّاتِها نحو أربع مرَّات، قال تعالى: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه: 75]، وجاءت لفظةُ (الأعلى) [طه: 68] في سياق مبارزة موسى للسَّحرةِ، قال تعالى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ [طه: 68]؛ للدَّلالة على عِظم منهجِ الله الموصلِ للسَّعادة، وجاءت لفظةُ ﴿ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾ [طه: 64] الدَّالّ على المبالغةِ - بزيادة الألف والتَّاء - في الاستعلاء بمنهج الشّقاء، في سياق التَّحدّي لفرعونَ وجندِه، قال تعالى: ﴿فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّاۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾ [طه: 64].

ثانيًا: تميَّزتِ السّورةُ الكريمة في أسلوبها بذكر مادَّة (قول) إحدى وستين مرَّة، خمسًا وأربعين مرَّة منها بصيغة الماضي (قال) و(قالا) و(قالوا) و(قلنا)، وستَّ مرَّات بصيغة المصدر (قول)، وخمس مرَّات بصيغة الأمر (قل) و(فقولا)، وخمس مرَّات بصيغة المضارع (تقول) و(يقول) و(يقولون)، وما هذه الكثرةُ إلَّا للدَّلالة على الحوارِ المُقنعِ بين موسى وفرعونَ، الآخذِ برسْمِ منهجِ الله في السَّعادة، ومنهجِ الباطلِ في الشَّقاء.

ثالثًا: تميَّزتِ السّورة بقصَرِ آياتها، وبتشابه فواصلِها رغم كثرتها، حيث جاءت على الألف الممدودةِ والمقصورةِ، ممَّا يُعطيها إيقاعًا خاصًّا في تلاوتِها وسماعِها، ومن شأن ذلك كلِّه أن يُسهِّلَ حفظَها.

رابعًا: من ميزاتِ السّورة الأسلوبيَّةِ أنَّها تشابهت كثيرًا مع سورة الأعلى في فاصلتِها، وفي ألفاظِها، وفي تراكيبِها، فضلًا عن معانيها كذلك، كما أشار لذلك بعضُ الكتَّاب[1]، فمن بعضِ ذلك:

في سورة الأعلى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [الأعلى: 1 - 3].

وهنا: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٦٨﴾ [طه: 68]، و﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه: 50].

وهناك: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩﴾ [الأعلى: 6 - 9].

وهنا: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ [طه: 52]، و﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾، و﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ۝٩٩﴾ [طه: 99] و﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۝١١٣﴾ [طه: 113].

وهناك: ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨﴾ [الأعلى: 17 - 18].

وهنا: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٢٧﴾ [طه: 127]، و﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝٧٣﴾ [طه: 73]، و﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٣٣﴾ [طه: 133].

وغيرها من المواطن.

خامسًا: تكرَّرت في السّورة بعضُ الألفاظ مثل العَيْن واليمِّ، ففي حقِّ موسى عليه السلام جاء قولُه تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ۝٣٩﴾ [طه: 39]، وجاء قولُه: ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ﴾ [طه: 40]، وفي معرض التَّوصيةِ لنبيِّنا ﷺ قال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝١٣١﴾ [طه: 131]، فضلًا عن مجيء لفظة ﴿بَصِيرًا ۝٣٥﴾ [طه: 35، 125] والتي وردت مرَّتين[2]، وهذا

(1) إبراهيم، عوض، سورة طه: دراسة لغويّة أسلوبيّة مقارنة، ص: 127 - 140.
(2) الآيتان: 35، 125.

يدلُّ على العنايةِ والرِّعايةِ منَ الله لمن سار على منهجه، فحقَّق له السَّعادةَ في الدَّارَيْن، وأمَّا كلمةُ اليمِّ؛ فقد وردت أربع مرَّات[1] في سياق قصَّةِ سيِّدنا موسى عليه السلام بما يدلُّ على النِّعم التي سخَّرها الله له.

سادسًا: حظيتِ السّورةُ الكريمةُ بألفاظٍ تفرَّدت بها عن غيرها مِنَ السّور من جهة الجَذر والمادَّة، وهذه الألفاظ هي: ﴿ٱلثَّرَىٰ﴾ و﴿فَٱخۡلَعۡ﴾ و﴿نَعۡلَيۡكَ﴾ و﴿وَأَهُشُّ﴾ [طه: 18] و﴿بِٱلسَّاحِلِ﴾ [طه: 39] و﴿تَنِيَا﴾ [طه: 42] و﴿بِلِحۡيَتِي﴾ [طه: 94] و﴿زُرۡقٗا ١٠٢﴾ [طه: 102] و﴿أَمۡتٗا ١٠٧﴾ [طه: 107] و﴿هَمۡسٗا ١٠٨﴾ [طه: 108] و﴿وَعَنَتِ﴾ [طه: 111] و﴿ضَنكٗا﴾ [طه: 124] و﴿زَهۡرَةَ﴾ [طه: 131]، وإنَّ الجامعَ بين هذه الألفاظ الاثنتي عشرةَ التي تفرَّدت بها السّورةُ، أنَّها ذاتُ اتِّصالٍ مباشرٍ بمحورِ السّورةِ القائم على بيانِ أنَّ منهجَ الله سعادةٌ، وأنَّ منهجَ الباطل شقاءٌ، فهذه الألفاظُ الفريدةُ ارتبطَ بعضُها بقدرة الله وعلْمِه، وبعضُها ارتبطَ بقصَّةِ سيِّدنا موسى عليه السلام على أنَّه الأنموذجُ الأمثلُ لأولي العزمِ منَ الرُّسل في مواجهةِ رمزِ الطُّغيانِ الأكبرِ فرعونَ، في معرضِ الصِّراع بين أهل السِّعادةِ وأهل الشِّقاءِ، وبعضُ هذه الألفاظ ارتبطَ بوعيدِ الله تعالى لأهل الشَّقاءِ في يوم الحساب، وبعضُها ارتبط مباشرةً بمنهج أهلِ الشَّقاء، كقوله: ﴿ضَنكٗا﴾ [طه: 124] و﴿زَهۡرَةَ﴾ [طه: 131].

(1) الآيات: 2، 39، 78، 97.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 31 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-73-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 31 : المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-73-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»